

من الاحتفاء بالفتوحات الإلكترونية إلى التخوف

ومحاربة استعمار المعلوماتية - المدارس القرآنية في مواجهة الخطر-

From the Ovation of Electronic Conquests to the Fear and Fight against the Colonization of Information- Quranic Schools Facing Danger –

فضيلة هدار¹، خالد هدار²

¹ جامعة باتنة 1، fadhilanor1906@gmail.com

² جامعة باتنة 1، haddar.khaled@gmail.com

تاريخ الإرسال	2021/08/02 م	تاريخ القبول	2021/09/01 م
---------------	--------------	--------------	--------------

ملخص

في وقت ليس ببعيد شاركت الدكتورة رحيمة الطيب عيساني في ملتقى أقيم بولاية قالمة بمدخله عن التكنولوجيا وأشارت إلى إيجابيات المواقع الإلكترونية، من توفير المعلومات، واختصارها للوقت، وسرعتها، فأطلقت عليها "الفتوحات الإلكترونية"، في حين هناك تخوف كبير من مخاطر المعلوماتية، خاصة لما يتعلق الأمر بفئة حساسة كالطفولة. تمثلا لطفولة، الفئة الأكثر استهدافا من مخاطر المعلوماتية؛ إذ لاحظنا في الآونة الأخيرة انتشارا رهيبا لهذه الظاهرة لدى الأطفال؛ خاصة المتمدرسين في صفوف الابتدائي والمتوسط؛ وهي حركة استعمار خطيرة على هذه الفئة، حتى إننا نرى تأثيرها أقرب من تأثير الاستعمار التقليدي، إذ يستهدف في أكثر مواقعها الرائجة لدى الأطفال، بناء مخيلة خاصة تبعثها تلك البرامج كرسائل مشفرة، أو في الغالب تسعى هذه البرامج إلى تشكيل طرق تفكير خاصة تنبني عليها ذهنية الأطفال لاحقا.

الكلمات المفتاحية: المعلوماتية؛ الطفولة؛ مخاطر؛ محاربة؛ المدارس القرآنية.

Abstract

Recently, in an international conference organized in Guelma city, Dr Rahima Al-Tayeb Aissani participated with an intervention on technology and pointed out the advantages of websites. The researcher denoted the information they provide us; as shortening the time and rapidity which she called "Electronic Conquests". Nevertheless, lately, the most targeted category of informational risks is the childhood category. We have noticed a terrible spread of this phenomenon among children; especially for primary and middle school students. This spread becomes a dangerous phenomenon of colonialism on this sensitive group. Its impact is closer to the effect of traditional colonialism. It targets children in its most popular sites among, building a private imagination that these programs send as encrypted messages. Very often, these programs seek to form particular ways of thinking on which the minds of children will be built later.

Keywords: Informatics; Childhood; risks; fight; Quranic schools

1. مقدمة

إنَّ الدور الكبير الذي لعبته الزوايا، والطرق الطرق الصوفية — باعتبار الأولى كانت في غالب الأحيان تابعة للثانية —؛ في تاريخ المغرب العربي عامة، والجزائر خاصة، كان له أثر كبير في توجيهه، وإرشاد الحياة الثقافية للمنطقة وساكنيها، وقد أدى ارتباط واحترام الناس لهذا الدور الذي تمَّ استيعابه بين كل الأطراف والذي يجسده مشايخها وهم أهم فئة تمكنت من التأثير فيهم؛ إلى تكوين وتشكل المخيال العام للمجتمع المغربي والجزائري على وجه الخصوص، إذ كانت مكانة شيخ الزاوية، أو معلم القرآن مرموقة، وله رفعة، وامتيار، فكلمته مسموعة، وحكمه نافذ، فإليه ترد الخصومات، وهو عضو فعال في مختلف المجالس التي غالبا ما تتعلق بقضايا ذات صلة بحياة الناس، فكان قريبا منهم وعارفا محيطا بظروفهم، وأحوالهم، ومؤتمن على أسرارهم، ومحط ثقة كبيرة من طرف الأهالي، حتى وأنهم لم يتوانوا وهم بهذه المكانة المرموقة من أن يساهموا في نشر المبادئ السامية ودعوة الناس إلى التمسك بها والعمل بها، فكانت مكانة ومهابة نافست حتى المسؤولين.

هذا الدور الكبير للزوايا ومشايخها لا ينكره أو يتجاهله أحد، ويتبين لدارس تاريخ الزوايا مدى تعلق الناس بها، ومدى المصداقية التي تحظى بها في أوساطهم، كيف لا يكون ذلك ومحورها هو كلام الله عز وجل تعليما وتعلما. من هذا الدور الفعال للزوايا، ستكتسب المدارس القرآنية باعتبارها سليمة ووريثة لها، أهميتها في المجتمع، لتعلق دورها الأساسي بتعليم القرآن الكريم لمختلف فئات المجتمع الجزائري بشكل أكثر تنظيما، ففي الوقت الذي سيطرت فيه التكنولوجيا على دقائق الحياة، واستحوذها على كامل الوقت، فإن المدارس

القرآنية تسعى جاهدة للإبقاء على دورها في المجتمع، خاصة تعليم وتحفيز القرآن الكريم.

وإذا تعلق الأمر بفئة حساسة وهي الطفولة، فإن كل الفئات المعنية لا تختلف من أن التكنولوجيا المعلوماتية خطر عليه، ولا تناسب مستواه بل وتؤثر في تكوينه؛ وتشكيل مخياله وشخصيته، من هنا تأتي فكرة موضوعنا هذا، فإذا كان الطفل يرتاد الشبكة المعلوماتية في أوقات فراغه للهو والمتعة؛ فإلى أي حد يمكن التحكم في اختياراته، وتوجيهاته؟

ثم إذا تعذر التحكم فيها، واستحالت مراقبته، فهل من بديل أو خيار يتيح للأهل أن يطمئنوا على أطفالهم، ويضمن حسن تلقي المعلومات، وسلامة تكوينهم، وتشكيل شخصيتهم، بعيدا عن تأثيرات التكنولوجيا غير المرغوب فيها؟ سنعالج هذه الأفكار وهذه التساؤلات في هذه الورقات البحثية، ومن خلالها نطرح وجهة نظرنا حول دور المدارس القرآنية، في الوقوف والتصدي لخطر المعلوماتية على أطفالنا، ونقف على آفاق تدعم عملها، وتزيد من تحسين دورها أكثر لاستقطاب أكبر نسبة من الأطفال إليها، وزيادة تعميق الثقة بين برامجها وبين الأهالي، وذلك بمناقشة هذه النقاط:

أولا: نبذة تاريخية عن الزوايا

ثانيا: المدارس القرآنية في الجزائر خيارا للوقوف في وجه مخاطر المعلوماتية.

ثالثا: علاقة المدارس القرآنية بالمحيط الخارجي للطفل.

أولا: نبذة تاريخية

لقد كانت الزوايا والكتاتيب والمساجد عاملا في جعل الجزائر أمة مثقفة عبر التاريخ؛ حتى قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا عكس ما نشر وأشيع من طرف فرنسا؛ لما بررت احتلالها للجزائر برغبتها ونيتها في تثقيف المجتمع، وإخراجه من

الجهل والأمية التي كانت سائدة فيه، ونشر العلم والثقافة فيها، إذ أن أكثر من مصدر يشير بصراحة إلى حقيقة الوضع الثقافي والعلمي للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي لها؛ بأنها كانت تحقق أعلى النسب في المجالين، بل وتشير إلى أن نسبة الأمية تزايدت مع دخول المحتل للأراضي الجزائرية.

إن تأثير التعليم الديني في توجيه الحركة الثقافية يتضح من ذلك الدور الذي لعبته الطرق الصوفية قبلا، من إعداد ذلك الجيل من العلماء، والصلحاء، الذين أتقنوا مهمة الإصلاح، وقيادة المجتمعات، فأصبح بفضل جهود الطرق الصوفية بكل أطرافها، تعلق الناس بهم كبيرا، إذ كانوا يسترشدون بها، ويحكمون شيوخها فيما شجر بينهم، وإذ أن للطرق الصوفية دور كبير في مواجهة الاستعمار، وما ينشره من أفكار وثقافات غريبة عن المجتمعات الإسلامية، فإننا نرجو من المدارس القرآنية خاصة وأننا اعتبرناها وريثة الزوايا بكل أنواعها أن تكون حريصة على الاقتداء بها، والعمل من أجل الوقوف في المعلوماتية، وما تنشره من أفكار خطيرة وهدامة لمقوماتنا؛ سعيا منها لحماية الفئة الأكثر تعرضا لمخاطر هذه الآفة والأكثر سهولة للغزو الثقافي وهي الطفولة.

وهنا أيضا نتأكد حاجتنا للأخذ من الأدب الصوفي والتمسك بأسس المبادئ والأسس التي تضمن تربية سليمة للطفل، باعتبار الأدب الصوفي هو " الأدب الذي أنتجه الزهاد والصوفية بمختلف اتجاهاتها السنية والفلسفية، ويبحث في النفس الإنسانية بعمق فلسفي، يسعى لتطهير النفس والروح من حب الدنيا وزينتها، وإدخال الطمأنينة إليها، وي طرح في أكمل صوره الفنية التجريدية كوا من النفس من حب، وجمال وقيم أخلاقية، ومعرفة" (بونابي. 2004م. ص11)، وهذا يؤكد أيضا ارتباط مهمة حماية الطفل من مخاطر المعلوماتية بجهات عديدة، ويستدعي ذلك تظافر الجهود، وإذ اعتبرنا دور هذه المدارس امتدادا لدور الزوايا التي ارتبطت في فترة مهمة من تاريخ المجتمعات الغرب إسلامية بالطرق الصوفية،

فذلك يجعل من الأدب الصوفي الذي أشرنا إليه أحد المصادر التي يجب استغلالها والانتفاع بمبادئها التي تخدم مهمة الحماية من مخاطر المعلوماتية، والتقليل من تأثيرها في المجتمع.

وهذا يدعونا إلى العودة لدراسة تاريخ التصوف ورجال الإصلاح خاصة، والأخذ بأساليبهم، وفنون الإصلاح التي اعتمدها مع مراعاة فارق الزمن، لأن دراسة تاريخ المصلحين ومسار عملهم يوصلنا إلى استلهاهم ما يمكننا من تحقيق مهمة الإصلاح والتجديد من مقومات الأمة العقائدية والذاتية، وذلك بشكل يجعل الأمة قادرة على مواجهة تحديات العصر بغير جمود يخشى التغيير ولا تردد يشل حرية التفكير (الجزار. 1999م. ص7)، كما ساهمت الزوايا الصوفية قبلا في فترة الاحتلال إذ كانت حينها تعتبر "المؤسسات الوحيدة أو الغالبة التي كانت تتولى التعليم، واستطاعت أن تحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية" (جاء الله. 2013م. ص145) رغم بسلطتها وتواضعها وعدم تطور مناهجها، وسهولة أساليبها، مع ذلك تمكنت إلى حد كبير من القيام بدورها وتساهم في "تنمية الشعور بالوحدة لدى الجزائريين، وتوحيد وسيلة الاتصال بينهم" (جاء الله. 2013م. ص145).

ومع الوقت تأكدت السياسة الفرنسية في الجزائر، واتضحت معالمها، ونواياها، والتي أدت إلى تدهور واقع الإسلام، الأخلاق واللغة العربية؛ فقد سعت بكل جهودها لطمس الهوية الوطنية "ونسف مقومات المجتمع"، وجعل المجتمع تابعا لثقافتها (بلاح، 2006م، ص149)، فيما أسمته "فرنسة الجزائر" أي جعل الجزائر مقاطعة فرنسية، تابعة لأحكامها وسلطتها، وتسيرها قيادة فرنسية تعين من فرنسا مباشرة.

ولأجل ذلك اتبعت وطبقت سياسة ترمي أساسا إلى " إجهاض الحركة الإصلاحية وتهميش لغة القرآن " (الزبيري، د ت، ص 51)، تأكدا منها أن عناصر قوة ووحدة ولحمة الجزائر تضمنها مقوماتها وعناصر هويتها، خاصة بعدما تأكدت واقتنعت أن هذه النشاطات من شأنها أن تساهم في نهضة الشعب، وتقوية إرادته، وكان هذا لما قامت بدراسة دقيقة وشاملة عن نشاط مؤسسات التعليم، والتوعية ونشر الثقافة لدى الجزائريين؛ إذ تدعم التعليم بالإضافة إلى تحفيظ القرآن في الكتاتيب؛ بتعليم اللغة العربية وتكثيف حلقات الدروس في مختلف المجالات، كما وكان الفضل لها في تخريج النخبة التي قادت المقاومة ضد وجودها في الجزائر، فكانت فرنسا في البداية مستهينة بدور هذه المؤسسات وأبدت نوعا من " التسامح إزاء وجودها " (الزبيري، د ت، ص 50).

ومع الوقت، تغير رد فعل فرنسا حول هذا وكان منصبا على اتخاذ التدابير اللازمة للوقوف في وجه هذه المؤسسات، فاهتمت بمجال التعليم وفق سياستها؛ فكان أن أقرت أن اللغة العربية لغة ثانية بعد الفرنسية، ومنعت المدرسين من إلقاء الدروس بها، وشددت هذه الإجراءات، وكثفت الحصار عليها، فصارت مراقبة وفي حالة عدم امتثالها لقرارات فرنسا معاقبة بالحبس والتعذيب والهدم، وكل هذه الإجراءات من شأنها أن تتحكم، وتوجه التعليم وعمل المؤسسات بما يحقق أهدافها التي كانت مخفية في البداية تحت غطاء إنساني، فكانت الزوايا واقفة في وجه هذه السياسة طول فترة الاستعمار.

أسست فرنسا مدارس ابتدائية فرنسية، وكان أهم ما عملت لأجله السعي إلى تشكيك الجزائريين في هويتهم وتغيير أخلاقهم، وقد أطلق عليها الجزائريون اسم: مدارس الشيطان؛ وهذا لا يظهر إلا وعيا كبيرا لهم حول تخطيطات فرنسا الاستيطانية، وإن كان تأثير ذلك خطيرا وضاربا في التاريخ، إذ لا تزال المدرسة الجزائرية تتبع فرنسا في مناهجها التعليمية.

كما سعت إلى تنشيط حركة التنصير والتبشير في سرية، ولم تعلن عن هذه الغاية خوفا من الرد العنيف للشعب؛ وذلك بواسطة إنشاء مؤسسات ظاهرها أنها ذات غايات إنسانية كالمستشفيات، في حين أنها تعمل على تنصير الشعب، مستغلة بذلك الوضع الاجتماعي للمجتمع الجزائري المتمثل في انتشار الفقر والجهل.

لقد كان الشعب الجزائري في درجة وعي عالية، سمحت له أن يدرك كل مخططات فرنسا من مشاريعها التمويهية، وفي كل مرة كان يقابلها بالرفض، والاحتجاج، وكان الوقوف في وجه تلك المشاريع نوعا من أنواع مقاومة الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي.

هنا نتساءل: ألا يمكن للمجتمع الجزائري الحالي أن يدرك الخطر الكبير الذي يحرق بمقوماته وهويته، بل وبالبناء الداخلي لشخصية الفرد المسلم عامة؟ مع كل التقارب والتشابه في الغايتين وإن اختلفت وسائلهما - الاستعمار التقليدي والاستعمار المعلوماتي - خاصة ونحن نسجل أخطار المعلوماتية على فئة حساسة تمثل المستقبل للأمة، والمجتمع، وكل طموحات التطور والرقى مرهونة بهذه الفئة.

وبالتالي، ومن هذا المنطلق والمشغل؛ نحاول تسليط قلمنا في هذا المقال على حل من الحلول التي نقترحها ونأمل منها النجاعة، والتدخل للمساهمة في حماية الطفل من مخاطر المعلوماتية.

يتمثل هذا الحل في تدخل المدارس القرآنية باعتبارها مؤسسات وطنية رسمية، لها حق ممارسة العمل الديني التوعوي للفئة المعنية - الأطفال - والوقوف في وجه أخطار المعلوماتية عليها؛ خاصة وأنها الفئة الأكثر نسبة في ولوج هذه المدارس، وتلقي تعليمها وبرامجها، راجين أن تكون سليلة وورثة الزوايا

والكتاتيب التي عملت بجد وتصدت للأفكار الاستعمارية الهدامة، وتمكنت من تجذير أفكار التحرر وثبتت الإيمان، والأهداف السامية للقضية الجزائرية أيام الاحتلال؛ بل وعبر تاريخ بداية ظهورها ومزاولة عملها ونشاطها.

وفي العنصر الآتي نبين وجهة نظرنا في اعتبار المدارس القرآنية خياراً، وواحدة من الحلول التي نقترحها للتصدي والوقوف دون تأثير المعلوماتية على الأطفال سلباً، ولا ندعي أنها الحل الوحيد بل هل خيار الأسرة الجزائرية بالإضافة إلى مؤسسات وحلول أخرى تتظافر جهودها للقيام بهذه المهمة السامية، والتي تحمل على عاتقها مسؤولية الإرشاد والإصلاح قبل التعليم فطالما كانت هذه المؤسسات معاهد للتعليم والتنوير والنصح.

ثانياً: المدارس القرآنية في الجزائر خيار للوقوف في وجه مخاطر المعلوماتية

لقد انتشرت المدارس القرآنية عبر التراب الوطني في الآونة الأخيرة بشكل ملفت، فأصبح كل مسجد يسعى لبناء مدرسة قرآنية تكون تابعة لتسييره وتعمل تحت إمرة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وهذا يؤكد دور المسجد في الحياة العامة للمجتمع خاصة وقت الأزمات، ولا نشك في دوره الكبير في توجيه الفكر العام للمجتمعات الإسلامية فمنه كانت بداية الدعوة، ومنه انطلقت أكبر الفتوحات وهو مقر تسيير أمور المسلمين، وهو وراء شحن همم الجيوش وزيادة حماسهم، بالإضافة إلى وظيفة التعليم والتفقيه التي كان منطلقاً ومقراً رسمياً لها.

وإذ نرى أن المعلوماتية خطر على الطفولة، ونعتبر تأثيرها السلبي أزمة خطيرة كتأثير الاستعمار القديم "العسكري"؛ ونظراً لما حققته هذه المؤسسات — المدارس القرآنية — من نتائج إيجابية في عدة مجالات نذكر منها:

1 - تحفيظ القرآن الكريم خاصة للفئة المعنية "لأطفال".

- 2 — تعليم الأطفال آداب التلاوة والتعريف بالقرآن الكريم — كلام الله عز وجل — وبيان أهميته وقيمته في توجيه وإرشاد حياة الفرد، وترسيخها في الناشئة، والعمل على ضمان تمسك الأطفال بكلام الله وارتباطهم به حفظاً وعملاً وسلوكاً.
 - 3 — تربية الأطفال على الأسس الإسلامية، ومكارم الأخلاق التي أتمها الرسول صلى الله عليه وسلم، خاصة وأن الهيئات المعنية بتسييرها تعمل على انتقاء المدرسين؛ بحيث يمثلون نماذج من الأخلاق والعلم، يتخذها الطفل قدوة له في حياته، بعد الحملات المتكررة من طرف أعداء الدين الإسلامي للقضاء على أرقى مبادئنا " القدوة " وذلك بمحاولة التأثير على النفوس وإقناعهم أن الانسان لا يصلح أن يكون قدوة ما دام يرتكب الأخطاء.
 - 4 — تدريس بعضا من مقاييس الشريعة كمحاولة لبناء فرد مسلم في تعاملاته وعباداته، ومحاولة الولوج إلى تفاسير القرآن لمدارسة وتفهم المتعلمين الأحكام الواردة فيه.
- ولهذا نلاحظ أن المدارس القرآنية أصبحت وباستحقاق تمثل خيار نسبة كبيرة من الأسر في تكوين أولادهم؛ إذ لم تعد الزوايا تفي بالغرض، وأيضاً كما هو معروف أن المدارس التربوية لا تقدم التكوين الديني المطلوب للأطفال، فتقديم المعرفة أولى أولوياتها.

1 - تعريف المدرسة القرآنية

تعرف المدرسة القرآنية على أنها " المؤسسة التمهيدية والتحضيرية، التي تعمل على تهيئة الطفل للاندماج مع المواقف الجديدة، والحوار المدرسي " (شريف، 2017م، ص82)، ما يعني أن ارتداد المدارس القرآنية أسبق من المدارس التعليمية، وهذا يزيد وقوي من أهميتها.

2 - المعلوماتية وخيار المدارس القرآنية

تعرف المعلوماتية على أنها مجموعة المعلومات المتصلة مع بعضها البعض، والتي تهدف إلى توفير المعلومات المرتبطة بمجالات الحياة. أو هي الاستخدام السليم لتكنولوجيا المعلومات الحديثة، من أجل التعرف على أفكار جديدة، والاستفادة منها أثناء تطبيقها واقعيًا (دون النظر لنوع المعلومات). ولأنها تمتاز بجمللة من الخصائص أهمها:

- سهولة وسرعة الوصول إلى المعلومات
- القدرة على نشر ونقل المعلومات
- الحصول على أحدث المعلومات
- جعل لها تطبيقات كثيفة منتشرة بكثرة وسط كل الفئات بما فيها الأطفال، ولعل أخطر ما تسعى إليه المعلوماتية هو نشر الفكر الثقافي باستخدام كافة الوسائل المتاحة، والتي تضمن وصول المعلومة الحاملة للفكرة إلى أي مكان أو شخص مهما كان بعده أو عمره أو مستواه العلمي والثقافي، أو درجة استيعابه، فالمعلوماتية اختصرت المسافات وألغت مختلف الفوارق العمرية، والتعليمية والثقافية.

لنتساءل هنا هل مستوى تلقي الطفل، ودرجة استيعابه تسمح له باستقبال ما توفره المعلوماتية بكل تفاصيلها؟ أكيد أن هذا يستحيل في مراحل الطفولة إذ أن استيعاب الطفل محدود، فالطفل لا يدرك هذه المعلومات على

حقيقتها ولا يميز بين تفصيلاتها، فكيف له أن يميز بين ما هو نافع له، وما هو ضار خطير على سلامته الذهنية.

إن جل اهتمامات الطفل إنما تتمثل في مشاهدة والوصول إلى الجديد المهر، وأكد أنه لا يفهم ولا يمكنه حل الشيفرات التي تحولها المعلومات أو البرامج التي يتابعها؛ لكن مع الوقت سيدمن عليها ويبرمج آليا أو تلقائيا على طريقته، ويكتسب مهاراتها وتبنى شخصيته على تلك الأفكار التي تكون قد لصقت بذهنه، ووجهت خياله وفكره.

لما نترك للطفل مجالا واسعا للمشاهدة واستخدام الشبكات فالمؤكد أنه سيجد الحرية في اختياراته.

سؤالنا المحوري في هذه النقطة ... كيف نجعل الطفل يحسن الاختيار؟ كيف سنراقب اختياراته؟

هنا سيطرح المختصون عدة حلول:

تطبيق شفرات DMS، فيسعى الآباء إلى مراقبة استخدامات أطفالهم والاطمئنان عليهم وحتى معرفة أماكن تواجدهم، لذا يلجؤون إلى تطبيقات التجسس والمراقبة.

كما يمكن استخدام تطبيق famisafe parent control تطبيق مراقبة الأطفال للأيفون والأندرويد، فيحمل التطبيق على هاتفه وهاتف طفله دون انتباهه باستعمال حساب إلكتروني وكلمة السر على الهاتفين، يمكن هذا من مراقبة مشاهدات الطفل والتطبيقات التي يستخدمها، والتحكم فيها وفي نوعيتها وحتى مدة تشغيلها.

كما يمكن للأب أن يختار تطبيقات معينة لطفله، ويمنع الشبكة عن تطبيقات أخرى، لكن هل المراقبة التقنية كافية لتكون حلاً لحماية أطفالنا من مخاطر وسيطرة المعلوماتية؟

لا يمكن أن نجزم أن هذه الطرق لوحدها كفيلة لتكون حلاً يحمي الطفل من مخاطر المعلوماتية، إذ لم تعد عملية المراقبة تضمن النتيجة من جانبيين:

- انشغال الآباء واستحالة المراقبة المستمرة، كما أن الكثير من الآباء ليسوا بمستوى يسمح لهم باللجوء إلى هذه الحلول.

- تعدد مصادر تلقي الطفل لبرامج المشاهدة المحظورة أو الخطرة عليه، ثم إن إحساس الطفل المستمر بالمراقبة - فلا يعقل في رأيي عدم انتباهه مطلقاً - سيخلق لديه رغبة في التمرد وسيلجأ إلى كل الأساليب؛ ليبرهن عن براعته في التهرب من المراقبة.

ونظراً لهذا كله وما نواجهه مع هذه الحلول، فإننا نلجأ إلى حلول أخرى نحسب أنها أكثر نجاعة من غيرها؛ إنها التوعية الاجتماعية.

ونرشح في هذه الورقات البحثية المدارس القرآنية، للقيام بهذه المهمة. إن البرامج التي تقدمها المدارس القرآنية في مجملها برامج تعليمية هدفها معرفي بالدرجة الأولى، إذ تركز على تحفيظ القرآن وتلقين أحكامه وآداب تلاوته كمادة أساسية ورئيسية لكل المدارس، وهي مهمة جاءت بديلة عن مهام الزوايا والكتاتيب، ولكن المدارس القرآنية بآليات متطورة ومنظمة أكثر، وبرامج أكثر تنظيماً واستمرارية في متابعة المتدربين.

كما نجد في بعض المدارس اهتماماً بالغاً بتدريس مواد الفقه والعقيدة، البسيطة والأساسية للتكوين الديني للطفل المسلم، وفي مجمل هذه البرامج فإن الهدف الأهم هو كتاب الله عز وجل الذي إن تمسكنا به ما ظللنا بعده أبداً،

ويكون أول أهداف المدرسة هو تحقيق تلاوة سليمة لكلام الله عز وجل، وتصحيح أخطاء القراءة العادية له، وضمان حسن التعامل معه والتمسك به وبأحكامه.

ثالثاً: علاقة المدارس القرآنية بالمحيط الخارجي للطفل

تقدم معظم المدارس القرآنية الجزائرية برامج متشابهة نسبياً عبر كامل التراب الوطني، إذ تركز كما أشرنا قبل على مادة التحفيظ؛ إن على مستوى الابتدائي أو المتوسط.

ثم تأتي في الدرجة الثانية مادة تعليم الأطفال قواعد التلاوة والترتيل، لذا سنتساءل كيف تكون المدارس القرآنية بهذه البرامج حلاً أو وسيلة لحماية الأطفال المنتسبين إليها من مخاطر المعلوماتية؟ وما هي علاقتها بالمحيط الخارجي للطفل والذي هو الميدان الأساسي لتأثير المعلوماتية على تفكيره وحياته ككل؟

تمثل فئة المدرسين المعيّنين من قبل المديريات المسؤولة، الرابط الرئيسي بين الطفل والمحيط، فالمدرس شخص له دراية وإحاطة شاملة بما يحدث في الخارج، ولا بد له أن يكون على علم بمختلف الملابس المحيطة بالطفل إن داخل الأسرة أو المجتمع.

يتلقى المدرس هذه المعلومات من مصادر مختلفة ومتنوعة حسب حالته، فيمكن أن تكون التجربة الشخصية أو الذاتية للمدرس هي مصدر معرفته، كما يمكن أن يكون قد تلقاها من مصادر أخرى عايشة الوضع، فالنقطة المهمة هنا هي "ملازمة المدرس للحالة".

فنجده يحرص بين مناسبة وأخرى على أن يكون له دور في توعية الطفل وتعليمه، ونصحه، وإرشاده إلى سبل اتباع الخيار الأفضل.

وهناك عدة صفات تحرص الجهات المعنية أن تتوفر في المعلم، ليختار على أساسها لهذه المهمة (شريف: 2017، ص 30) من هذه الصفات:

- سلامة الاعتقاد
 - الإخلاص وصحة المقصد، وامتلاك الرغبة.
 - حسن الخلق لأنه سيمثل القدوة للمتمدرسين.
 - العدل بين المتعلمين
 - أن يكون ممن يتقن تعليم القرآن، وله قدرة التأثير على الأطفال.
- إن التوعية بصفة عامة هي ما ينقص المنظومة التعليمية عامة؛ خاصة في المراحل الأولى لحياة الطفل، إذ يكون هم المعلم غالبا إيصال المعلومة وتفهمها. وللمدارس القرآنية عدة أنشطة غالبيتها ذات اهتمام اجتماعي أو ثقافي توعوي.

- أمثلة عن النشاطات ذات الاهتمام الاجتماعي:
إحياء المناسبات الدينية والوطنية.
- استضافة بعض الوفود وإكرامهم مثل ما صرح به الشيخ سيدي الحاج عبد الكريم الدباغي، من أن " النشاط الاجتماعي، يربط المدرسة بالمحيط بقوة"[†]
- أمثلة عن النشاطات ذات الاهتمام الثقافي.
- أهم ما يندرج تحت هذه النقطة نشاطات التوعية والإرشاد، حيث تنظم المدارس القرآنية لقاءات تحسيسية وأيام دراسية، تلقى فيها دروس وكلمات، هي في مجملها ذات محتوى توعوي توجيهي تثقيفي.

[†]- كلمة سيدي الحاج عبد الكريم الدباغي: من برنامج في رحاب المدارس القرآنية، عبر أنثر إذاعة الجزائر من أدرار، إعداد وتقديم: رمضان جعفري، الدقيقة بين 4,36 و 5,07.

<https://www.youtube.com/watch?v=MzQDWKYUvP4&feature=share>

ونفس ما قيل من أن المعلم هو حلقة الوصل بين الطفل والخارج، وهو نفسه المرسل الذي يغرس مبادئ سامية خلال الدرس التعليمي، فهو أيضا المسؤول عن هذه اللقاءات والنشاطات، بذلك أقترحه كنموذج و"رهان"، يمكنه بالإضافة إلى ذلك أن يتواصل مع الجهات المسؤولة من أولياء وباحثين في الميدان من اختصاصات مختلفة، سعيا وراء معالجة الوضع وإيجاد حلول تناسب المشكلة، مستهدفين الغاية الكبرى لهذه الجهود وهي حماية الطفل من مخاطر المعلوماتية.

لذا نرى أنه لابد من تكثيف الجهود في الميدان، ومتابعة عمل المدارس وهذه مجموعة من الحلول المقترحة، والتي نحاول منها أن نقترح برنامجا جديدا للمدارس من شأنه أن يكسب الرهان الذي راهنا به على هذه المؤسسات وممثلها للوقوف في وجه استعمار المعلوماتية لذهن الطفل وشخصيته.

1 — التركيز على تعليم وتدريس مواد لها علاقة بالأخلاق الإنسانية عامة والإسلامية خاصة، حرصا على تكوين صحيح وسليم للطفل، وجعله يطبق هذه الأخلاق في مجتمعه.

2 — خلق وإيجاد مجالات تهم الطفل، وتحمل الإبهار، كسرد القصص وقد يكون إدراج مادة التاريخ مناسبا للوضع منذ بدايات تكوينه، إذ نعلم أن الطفل تشده وتأسره حياة الأبطال، ويميل إلى تقليدها، وتجسيد شخصيات الحكايا، لذا استغلال هذه النقطة سيكون له جوانب أزعج أنها ستشكل رصيда متراكما تبني به شخصية الطفل، وتحافظ على فطرته السليمة وبراءته.

3 — تأكيد المدرسين الدائم على خطورة بعض الرسوم المتحركة، بعد دراستها من الهيئات المختصة، والحرص على إظهار ما تحمله من فكر متطرف أو منحرف لا يتناسب مع ذهنية الطفل، التي تمتاز بالصفاء والبساطة.

ليس من الصائب إهمال دور المدارس القرآنية في هذا المجال؛ أي كونها أحد الحلول التي يسعى الأولياء إلى انتسابهم إليها بواسطة أطفالهم، إذ أثبتت بجدارة جديتها للوصول إلى مبتغاها فيما يخص التعليم القرآني، فهي وسط صالح للتكوين، وإذ هي تابعة لتسيير المسجد، فقد كسبت ثقة الكثير، وطالما كان المسجد مركز الدعوة وتكوين الرجال، حق لنا أن نعتبر المدارس القرآنية سليلة له، ومكملة لعمله التوعوي خاصة لدى فئة الأطفال الفئة الأكثر تعلما فيها.

كما كانت الزوايا سابقا ملاذ الأولياء والعلماء والصلحاء، وحظيت بدعم شعبي كبير، ويعود ذلك إلى كونها "تشرف على تسييرها الطرق الصوفية، فلعبت لذلك دورا أساسيا في نشر الثقافة خاصة في الأرياف واستطاعت أن تحقق توازنا نسبيا مع المدن" (الميلي، دت، ص317)، وقد سبق أن تناولنا دور الطرق الصوفية في عنصر من عناصر هذا المقال.

فالعامل الروحي الإيماني كثيرا ما يكون له تأثير جد فعال في حل الأزمات، والتصدي للتحديات، لذا نأمل أن نقف صفا واحدا- فلا يمكن أن نقول يدا واحدة- ونتحدى هذه المخاطر، وذلك بتعميم نظرتنا على كامل المدارس، وإبلاغهم بانشغالنا، وأملنا في البرامج التي تقدمها، كما ويمكن القيام بنشاطات تحسيسية للأهالي وأولياء الأطفال وإشعارهم بأهمية توجيه أولادهم نحو تلقي برامج المدارس القرآنية.

خاتمة

تعتبر المدارس القرآنية سليلة الزوايا والكتاتيب التي تتميز بتاريخ لامع، وحظوة منفردة لدى المجتمع المغربي عامة، والجزائري على الخصوص، وقد أشرنا إلى العلاقة الوطيدة، والارتباط التاريخي بينها، وبين الطرق الصوفية في المجتمع المغربي، والذي بدوره يعتبر أهم مورد من موارد المرجعية الدينية لأهل المنطقة.

إن اعتبار أن للتصوف دورا فعالا في نشر القيم، جاء من ذلك الارتباط الذي كان بين الزوايا والطرق الصوفية، حتى أن كل الزوايا أصبحت تشرف عليها الطرق الصوفية فيما يسمى "بتصوف الزوايا"، فإذا كان دور الزوايا في فترة الاستعمار كما أشرنا كبيرا في نشر حماس الشعب وتعبئته ضد مبادئ المستعمر؛ فقد كانت داعما قويا لمختلف المقاومات، وقادة هذه المقاومات في الغالب يحرصون على الانتساب إليها تقوية لمرجعية وشرعية المقاومة، ما يدل على المكانة التي تمثلها الزوايا في أوساط المجتمع الجزائري، فإن هذا الدور يتحول في أوقات السلم إلى التربية والتعليم، والتوعية الاجتماعية التي ندعو المدارس القرآنية إلى التنبه لضرورة الاهتمام بها وجعلها أولى أولوياتها.

إن ما تمثله المعلوماتية من خطر على فئة الطفولة، إن فيما تقدمه من برامج غير صالحة لهذه الفئة العمرية، أو ما تضيعة من وقت على الأطفال على حساب وجهات أخرى تكون برأينا أفضل لمستواهم؛ كالتوجه للمدارس القرآنية، وهو الخيار الذي عالجنا أهميته وضرورة التنبه إليه من طرف الجهات المعنية، في مقالنا هذا.

تعمل المدارس القرآنية بجهد على مواجهة خطر المعلوماتية على الأطفال، وتسعى بكل مستويات التعليم الذي تقدمه لكسب تحدي إنقاذ الطفل من

الأفكار الهدامة المستوردة، والتي توفرها المعلوماتية له، ولأن المدارس القرآنية تحظى بدعم وثقة الأهل، ولها رمزية خاصة في المجتمع المسلم؛ رشحناها كإحدى أهم الحلول لمواجهة خطر المعلوماتية على الطفولة.

ومع ما تمنحه الجهات الوصية، من دعم ومتابعة حول سير عمل هذه المؤسسات، من تمويل، وتحديد لشروط الموظفين والقائمين بها، وخاصة المعلمين والمرشدين، وانتقاء صفاتهم، وجدارتهم واستحقاقهم للقيام بالمهمة التي نرجو منها الفعالية، فإننا نتوقع لها نسبا محترمة من تحقيق وكسب رهان حماية الطفل من مخاطر المعلوماتية.

قائمة المراجع

1. بلّاح. بشير. 2006م. تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989م). الجزائر. دار المعرفة.
2. بونابي. الطاهر. 2004م. نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط. مستغانم. مجلة حوليات التراث.
3. جاب الله. الطيب. 2013م. دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري. مجلة المعارف. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة البويرة. ع14.
4. الجزائر. أحمد محمود. 1999م. الإمام المجدد بن باديس والتصوف. ط1. الإسكندرية. منشأة المعارف.
5. الزيري. العربي. د.ت. تاريخ الجزائر المعاصر. اتحاد الكتاب العرب.
6. شريفي. فاطمة. 2017/2018م. المدرسة القرآنية ودورها في تعليم القراءة. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر. جامعة عبد الحميد بن باديس. مستغانم.
7. كلمة سيدي الحاج عبد الكريم الدباغي: من برنامج في رحاب المدارس القرآنية، عبر أثر إذاعة الجزائر من أدار، إعداد وتقديم: رمضان جعفري، الدقيقة بين 4,36 و5,07، <https://www.youtube.com/watch?v=MzQDWKYUvP4&feature=share>.
8. الملي. مبارك بن محمد الهلالي. د.ت. تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر. مكتبة النهضة الجزائرية.